

خطبه الجمعة - الخطبة ١٢٨ : خ ١ - رمضان ٢ - شهر القرآن ، خ ٢ - حليب الأم .
لضيّلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٦-٠٥-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لننهاي لو لا أن هدانا الله ، وما توفيقي
ولا اعتصامي ولا توكلني إلا على الله .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر .
وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم ، رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين
بنظر أو سمعت أذن بخبر .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن وآله ومن
تبعه إلى يوم الدين .
اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ،
إنك على كل شيء قادر .

تنكير :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ أوحى الله لموسى عليه السلام :
((أن يا موسى أتحب أن أسكن معك بيتك ؟ فخرّ موسى ساجداً لله عزّ وجلّ ، قال : يا رب
وكيف ذلك ؟ فقال الله سبحانه وتعالى : يا موسى أما علمت أنني جليس من ذكرني ؟ وحيثما
التمسني عبدي وجدني ؟))

ومن ذكر الله سبحانه وتعالى قراءة القرآن . وقد تحدث في خطبة سابقة عن فضل الصيام ،
وعن أسرار هذه العبادة ، وعن حكمته ، وكيف أن كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لله سبحانه
وتعالى ، وهو يجزي به ، وكيف أن الصيام عبادة الإخلاص ، وعبادة الصبر ، وعبادة التقوى .
وتحدثت في الخطبة السابقة عن أنّ من مفطرات الصيام الكذب ، والغيبة ، والنفيمة ، والنظر
بشهوة ، واليمين الغموس ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يكثر في رمضان من قراءة القرآن
ومدارسته ، وكان أجود ما يكون في رمضان .
هذه الخطبة عن تلاوة القرآن ، والخطبة القادمة إن شاء الله تعالى عن الإنفاق في سبيل الله .

رمضان شهر القرآن :

فإله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٨٥]

من كرامة هذا الشهر على الله عز وجل أنه قد أنزل فيه القرآن ، ومن أداب قراءة القرآن الاستماع له ، والإنصات فعلل الله سبحانه وتعالى يتجلّى على قلب القارئ والسامع برحمته ..

﴿ وَإِذَا قِرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

[سورة الأعراف الآية : ٢٠٤]

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

[سورة يونس الآية : ٣٨]

هذا أشد أنواع النفي في اللغة (ما كان) نفي الحدث ، ونفي السبب ، ونفي الإمكان ، ونفي الإرادة ، ونفي الرغبة ..

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

[سورة يونس الآية : ٣٨]

والله سبحانه وتعالى يدعونا لا إلى تلاوته فحسب ولكن إلى تدبره ، وإلى فهمه ، وإلى التأمل في معانيه ، وإلى التبصر في آياته ، وإلى التدقير ، والتمحيص ، والسؤال ، والجواب ، قال تعالى :
﴿ أَفَلَا يَتَبَرَّوْنَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

[سورة محمد الآية : ٢٤]

وتلاوة القرآن شأن كبير من شؤون المؤمن ، إن له أحوالاً عدّة ، من أبرز أحوال المؤمن تلاوته للقرآن الكريم ..

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾

[سورة يونس الآية : ٦١]

والله سبحانه وتعالى العظيم ، وصف القرآن بأنه عظيم ، فقال تعالى :
﴿ وَلَقَدْ أَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمُثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾

[سورة الحجر الآية : ٨٧]

أفلا نعظّمه ؟ إذا وصفه الله — وهو خالق الأكون ، وهو عظيم العظماء بأنه عظيم — أفلا نعظّمه ؟ والله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نلتجي إليه ، ونستعيذ به ، ونحتمي بحماه من كل شيطان رجيم ، ومن كل وسوسة اللعين إذا تلونا كتاب الله ..

﴿ فِإِذَا قَرأتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

[سورة النحل الآية : ٩٨]

وهو سبحانه وتعالى يبيّن ..

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٩]

ومطلق على إطلاقه ؛ في حياتك الزوجية ، في حياتك المعاشرية ، في عملك ، في صحتك ، في جسدك ، في نفسك ، في كل شؤونك لو اتبعت القرآن الكريم لعرفت ..

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَفْوَمُ ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٩]

والله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نقرأ القرآن في أوقات السحر ، في أوقات الفجر ، فإنها ..

﴿ إِنَّ نَاسِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطَنًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾

[سورة المزمل الآية : ٦]

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٧٨]

ويبيّن الله سبحانه وتعالى أن القرآن شفاء للنفوس ، ورحمة للمؤمنين فقال تعالى :

﴿ وَنَنْزَلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الإسراء الآية : ٨٢]

وتولى الله سبحانه وتعالى تيسيره ، وتيسير تلاوته ، وحفظه ، فقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرَنَا الْقُرْآنَ لِذِكْرِ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ ﴾

[سورة القمر الآية : ١٧]

..

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَائِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾

[سورة الحشر الآية : ٢١]

كيف لا تخشع له والجبال تخشع له ؟! هذه الجبال الشامخة تخشع له لو أنزل عليها .

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾

[سورة المزمل الآية : ٤]

أو :

﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾

[سورة المزمل الآية : ٢٠]

لابد من قراءة القرآن ، ولو صفحة في اليوم ، ولو حزبا ، ولو جزءا .

والله سبحانه وتعالى أثني على بعض أهل الكتاب فقال تعالى :

﴿ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تَلَاوَتِهِ ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٢١]

وقد فسر العلماء (حق التلاوة) بتجويده ، وفهمه ، والعمل به .

هذه بعض آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن القرآن الكريم ، فماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام عن هذا الكتاب العظيم ؟

الأحاديث التي تتحدث عن فضل قراءة القرآن

قال عليه الصلاة والسلام :

((من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أöttى أفضل مما أöttى فقد استصغر ما عظمه الله))

[من تخریج أحادیث الإحیاء عن عبد الله بن عمر]

و ..

((ما من شفيعٍ أفضل منزلةً عند الله تعالى من القرآن))

و ..

((لو كان القرآن في إهابٍ – أي في جلدٍ – ما مسّته النار))

[من تخریج أحادیث الإحیاء عن سهل بن سعد]

و ..

((أفضل عبادة أمتی تلاوة القرآن))

[من الجامع الصغير عن النعمان بن بشير]

و ..

((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))

(من الجامع الصغير : عن " سعد ")

و ..

((من شغله القرآن عن دعائي ومسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين))

[من زيادة الجامع الصغير عن أبي سعيد]

من شغله القرآن عن مسئلتي ، وعن دعائي أعطيته فوق ما أعطى السائلين .

و ..

((ثلاثةٌ يوم القيمة على كثيّبٍ من مسکٍ لا يهولهم فزعٌ ، ولا ينالهم حسابٌ ، أحدهم رجلٌ قرأ القرآن ابتغاء وجه الله ، وثانيهم رجلٌ أمٌّ قوماً وهم له راضون))

وليسوا كارهين .

[من تخریج أحادیث الإحیاء]

من أمّ قوماً وهم له كارهون فهذا مرفوضٌ ، ومردودٌ .

و ..

((أهل القرآن أهل الله وخاصةً))

و ..

((إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقيل : يا رسول الله وما جلاؤها؟ قيل : تلاوة القرآن وذكر الموت))

[من تخریج أحادیث الإحیاء عن ابن عمر]

وَالْحَدِيثُ الَّذِي أُرِيدُ أَنْ أَقْفَ عَنْهُ قَلْبِاً ، قَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

((لَا يَحْزُنْ قارئ القرآن))

أَنَّى لِلْحَزْنِ أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَى قَلْبِهِ ؟ إِنَّهُ يَوْجِدُ اللَّهَ ، وَيَرِيَ اللَّهَ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ ، وَبِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ عَنْكَ رَاضِيًّا فَمَا الَّذِي يَحْزُنُكَ ؟ إِذَا كَانَ اللَّهُ عَنْكَ رَاضِيًّا فَمَا الَّذِي يُعْلِيقُ ؟ إِذَا كَانَ اللَّهُ عَنْكَ رَاضِيًّا فَمِنَ الَّذِي يَخِيفُكَ ؟ إِذَا كَانَ اللَّهُ عَلَيْكَ رَاضِيًّا فَمَا الَّذِي تَحْزُنُ عَلَى فَقْدِهِ ؟ .

((ابْنَ آدَمَ اطْلَبْنِي تَجْدِينِي ، فَإِذَا وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ وَإِذَا فَتَّكَ فَاتَّكَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَأَنَا أَحْبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ))

[ابن كثير]

إِذَا كَانَ اللَّهُ مَعَكَ فَمِنْ عَلَيْكَ ؟ وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَمِنْ مَعَكَ ؟ أَنَّى لِقَارئِ الْقُرْآنِ أَنْ يَحْزُنَ وَهُوَ يَتَلَوَ قَوْلَهُ تَعَالَى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

[سورة النحل الآية : ٩٧]

أَنَّى لِقَارئِ الْقُرْآنِ أَنْ يَحْزُنَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ..

﴿ اللَّهُ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

[سورة الحج الآية : ٣٨]

أَنَّى لِقَارئِ الْقُرْآنِ أَنْ يَحْزُنَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى سَيَجْعَلُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَدَّا ؟ أَنَّى لِقَارئِ الْقُرْآنِ أَنْ يَحْزُنَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَحْبِبُهُمْ ..

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾

[سورة المائدة الآية : ٥٤]

أَنَّى لِقَارئِ الْقُرْآنِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ :

﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَحَدٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة هود الآية : ٥٦]

أَنَّى لَهُ أَنْ يَحْزُنَ ؟ أَنَّى لَهُ أَنْ يَحْزُنَ وَهُوَ يَتَلَوَ قَوْلَهُ تَعَالَى :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنَّنَا نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾

[سورة الحجاثة الآية : ٢١]

أَنَّى لِقَارئِ الْقُرْآنِ أَنْ يَحْزُنَ وَهُوَ يَتَلَوَ قَوْلَهُ تَعَالَى :

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَا وَعْدًا حَسِنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعَاهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٦١]

أَنِّي لقارئ القرآن أَن يحزن والله سبحانه وتعالى يقول :
﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ ﴾

[سورة السجدة الآية : ١٨]

علامة قراءة القرآن أَنَّ الْحُزْنَ لا يمكن أن يصل إلى قلبك ، وعلامة الْبُعْدِ عن القرآن أنَّ القلب تنقله الأحزان ، تنقله المخاوف ، تنقله الهموم بسبب الشرك ..
((لا يحزن قارئ القرآن))

و..

((من تعلم القرآن متّعه الله بعقله حتى يموت))

ما من خريف عمرِ أجمل من خريف عمر المؤمن ، لأنَّه نشأ في طاعة الله ، وهذا الدماغ – إنَّ صحَّ التعبير – وعي القرآن ، أَنِّي له أَن يُخْرِف ، أَنِّي له أَن يُضْبِعَ وقد قرأ كتاب الله ، وقد فهم كتاب الله ..

((من تعلم القرآن متّعه الله بعقله حتى يموت))

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((القرآن غنىً لا فقر بعده ...))

[من الدر المتنور عن أنس]

إن شعرت أنك محروم فلست تقرأ القرآن ، من عامة تلاوة كتاب الله كما أراده أن يُتلى أن تحس بالغنى ، إن الغنى غنى النفس ، من عامة تلاونك لكتاب الله كما أراد الله أن تتلوه أنك تحس بالغنى الذي لا حدود له .

((القرآن غنىً لا فقر بعده ولا غنىً دونه))

أقوال الصحابة والتبعين والعلماء في حق القرآن .

ماذا قال أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وبعض التابعين ، وبعض العلماء العاملين في حق القرآن الكريم ؟

قال سيدنا عمر حينما رأى إنساناً ترك العمل ، وقعد في المسجد في النهار يتلو كتاب الله ، فقال سيدنا عمر مُعنِّفاً :

((إنما أُنْزِلَ هذَا الْقُرْآنَ لِيُعَمَّلَ بِهِ ، أَفَاتَخْذَتْ قِرَاءَتَهُ عَمَلاً))

اقرأه في الليل واعمل به في النهار ، هذا هو المسلم الحقيقي .
وأبو هريرة رضي الله عنه قال :

((إنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يُتَلَى فِيهِ الْقُرْآنَ اتَّسَعَ بِأَهْلِهِ ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ ، وَحَضُورُهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي لَا يُتَلَى فِيهِ كِتَابُ اللهِ صَاقَ بِأَهْلِهِ ، وَقَلَّ خَيْرُهُ ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَحَضُورُهُ الشَّيَاطِينُ))

ويحضرني في هذه المناسبة قولٌ مأثور : أن الرجل إذا دخل بيته ولم يسلم - لم يقل : السلام عليكم - قال الشيطان لإخوانه أصبتم المبيت في هذا البيت ، فإذا جلس إلى الطعام ولم يسمّ قال الشيطان لإخوانه : أصبتم العشاء ، فإذا دخل ولم يسلم ، وجلس إلى الطعام ولم يسم قال الشيطان لإخوانه : أصبتم المبيت والعشاء ، فإذا هذا البيت شاقٌ ، وخصامٌ ، ونفورٌ ، وسبابٌ ، وضربٌ ، وتكسيرٌ ، ونخصُّ لا حدود له .
سيدنا عمرو بن العاص قال :

((كل آيةٍ في القرآن الكريم درجةٌ في الجنة ...))

معنى أن كل آية تفهمها ترتفع بك درجةً في الجنة ، كم آيةٍ في كتاب الله ؟ وإذا شئت التضييق كل كلمةٍ تفهمها ، وكل حرفٍ تعلمه ، وكل حركةٍ ، الحركة لها معنى دقيق ..
﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ﴾

[سورة التوبه الآية : ٤٠]

قال تعالى :

﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ ﴾

[سورة التوبه الآية : ٤٠]

لم يقل : وكلمة الله ، لو قال : وكلمة الله هي العليا ، أي جعلها العليا بعد أن كانت سفل ، وهذا معنى فاسد ..

﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةً ﴾

[سورة التوبه الآية : ٤٠]

مبتدأ ..

﴿ اللَّهُ هِيَ الْعُلِيَا ﴾

[سورة التوبه الآية : ٤٠]

دائماً وأبداً ، إذا فقهت حركة الكلمة فلما عند الله درجة ، الحركة درجة ، الحرف درجة ، الكلمة درجة ، الآية درجة ، " كل آيةٍ في القرآن درجةٌ في الجنة ومصباحٌ في بيتكم " . هذا الذي يغضب من زوجته ويطردها إلى بيت أهلها ما تلا كتاب الله ..

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجُنَّ ﴾

[سورة الطلاق الآية : ١]

لو أنه تلا هذه الآية وكانت مصباحاً له فألقاها في بيته ، فانطفأ الشرّ بعد ساعات ، فلما طردها إلى بيت أهلها تفاقم الشر ، وانتهى بالطلاق ، وتشريد الأولاد ، مصباحٌ في بيتكم .
وسيدنا الحسن يقول :

((والله ما دون القرآن من غنىٌ ، ولا بعده من فاقة))

وسيدنا عمرو بن العاصي يقول أيضاً :

((من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه))

أما التابعين فيقول بعضهم وهو الفضيل بن عياض :

((ينبغي لحامل القرآن ألا يكون له إلى أحد حاجة ، فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه ، وحامل القرآن حامل راية الإسلام ، لا ينبغي أن يلهمو مع من يلهو ، ولا أن يسهو مع من يسهو ، ولا أن يلغوا مع من يلغوا تعظيمًا لحق القرآن " . هذا الذي يحمل كتاب الله ينبغي أن يكون في موضع إعزازٍ وتقدير ، لا في موضع سؤالٍ ، وتذلل ، وخنوع))

والعكري يقول :

((تؤخذ ألفاظه من حفظه ، وتوخذ معانيه من يعانيه". تأخذ ألفاظه ، ومخارج حروفه ، ومُحْكَمَه ، ومتشابهه من حفظه، وتوخذ معانيه من يعانيه))

والقاسم بن عبد الرحمن التقى بناسٍ ، فشكاه الوحشة ، فقال له :

((ما أحدٌ هنا تستأنس به ؟ قال : لا . فمدّ يده إلى كتاب الله ووضعه في حجره، استأنس به))
أيها الإخوة المؤمنون ؛ والإمام الغزالى رضي الله عنه عقد في الإحياء باباً حول آداب تلاوة القرآن الكريم ، ذكر فيه : أن أفضل أحوال المؤمن أن يقرأ القرآن واقفاً في صلاة في مسجدٍ .
أي أنت حينما تصلون التراويح ، تقفون في المساجد بين يدي الله عزّ وجلّ ، تستمعون إلى الإمام وهو يتلو عليكم آيات القرآن ، فهذه أفضل أحوال المؤمن .

وفد إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في عهد عمر رسول عامله على أذربيجان ، وقد دخلها بعد منتصف الليل ، فكره أن يطرق باب أمير المؤمنين في هذا الوقت المتأخر ، فدخل المسجد النبوى ليمضى فيه بعض الوقت ، ريثما نقام صلاة الفجر ، فسمع رجلاً وسط الظلام يقرأ القرآن مصلياً ، يبكي بكاء الحزين ، ويتاؤه تاؤه السقيم ، ويقول بعد أن انتهى من صلاته : " يا رب أنا واقفٌ ببابك ، أرجو جنابك هل قبلت توبتي فأهني نفسي ، أم ردتها فأعزّيها ؟
فدنوت منه وقلت له : من أنت يرحمك الله ؟

قال : أنا عمر .

فقلت : يا أمير المؤمنين ألا تنتام الليل ؟ ! .

قال : يا هذا إنني إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي .
فلما دخل وقت الفجر ، وصلّى عمر الفجر بال المسلمين ، أخذني وانطلق بي إلى بيته ، وفي البيت نادى زوجته على أم كلثوم فقال لها : ما عندك من طعامٍ لضيفنا ؟ قالت : والله ما في بيتي إلا خبزٌ وملح . فقال : أحضريه لنا ، تناول مع رسول عامله على أذربيجان هذا الطعام المتواضع ،
وحمد الله وأثنى عليه ثم قال له :

ما الذي أقدمك علينا ؟ لماذا جئت ؟

قال : هديةً بعث بها إليك عاملك على أذربيجان .

قال : افتحها . فإذا هي حلوي نفيسة ، وضع بعضها في فمه وقال : يا هذا أيأكل عامّة المسلمين عندكم هذا الطعام ؟ .

قال : لا إِنَّه طعامُ الْخَاصَةِ .

قال : أَوْ أُعْطِيَتْ فَقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ مَثْلًا أُعْطِيَتِي ؟ .

قال : لَا هَذِه لَكَ وَحْدَكَ .

فَقَالَ : خَذْهَا ، وَوَزِّعْهَا عَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَحِرَامٌ عَلَى بَطْنِ عَمْرٍ أَنْ يَذُوقَ طَعَامًا لَا يَطْعَمُه فَقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ .

وَمِرَّةً قَرَقرَ بَطْنَهُ كَثِيرًا — لَتَرَكَهُ أَكْلَ اللَّحْمَ فَتَرَهُ طَوِيلَةً — فَقَالَ مُخَاطِبًا بَطْنَهُ : " قَرَقرَ أَيْهَا الْبَطْنَ أَوْ لَا تَقْرَقرَ فَوَاللَّهِ لَنْ تَذُوقَ اللَّحْمَ حَتَّى يَشْبَعَ مِنْهُ صَبَبَةُ الْمُسْلِمِينَ " .

أَيْهَا الإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ ... هَذَا تَقْعُلُ تَلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِي الْلَّيْلِ ، هَذَا تَقْعُلُ ، هَذَا تَقْعُلُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي الْلَّيْلِ ؛ تَمَلُّ الْقَلْبُ رَحْمَةً ، تَمَلُّ الْقَلْبُ إِنْصَافًا ، تَمَلُّ الْقَلْبُ حَبًّا لِخَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِ .

أَيْهَا الإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ ؛ حَاسِبُوا أَنفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْسِبُوهَا ، وَزِنُّوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَوْزِنَ عَلَيْكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتَ تَخْطَانَا إِلَى غَيْرِنَا وَسِيَّطْخَطَّ غَيْرِنَا إِلَيْنَا فَلَنْتَخَذْ حَذْرَنَا ، الْكَيْسُ مِنْ دَانِ نَفْسِهِ ، وَعَمِلَ لَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مِنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هُوَاهَا ، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْآمِانِيِّ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الخطبة الثانية :

الحمدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِي الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولَهُ صَاحِبَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ .

حليب الأم :

أَيْهَا الإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ ؛ حليبُ الْأَمِّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظِمَتِهِ .

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًاً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدِينَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

[سورة البلد الآيات : ٨-١٠]

قال بعض المفسرين : وهديناه النجدين أي الثديين ، وهديناه ، لهذا الإنسان الذي كرمه الله ، الذي كرمه الله على كل الخلق :

﴿ وَهَدِينَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

ما ذا قال علماء الطب ، عن حليب الأم ؟ قالوا : إن الهوّة واسعة جداً ، بين الإرضاع الوالدي الطبيعي ، وبين الإرضاع الصناعي . ففي حليب الأم ، موادٌ نوعية ، يصعب تصور تقليلها ، يصعب تصور تقليل حليب الأم .

ففي حليب الأم مضادات حيوية ، وفي حليب الأم مواد حالة للجراثيم ، مركزٌ فيه تركيزاً شديداً ، تحلُّ الجراثيم ، وفي حليب الأم مواد تمنع التصاق الجراثيم ، بمخاطية الأمعاء ، وفي حليب الأم كريات بيض ، مزودة بمضاداتٍ حيوية ، تمنع العدوى بالأمراض الوبيلة ، مناعة الأم كلها في

حليب الأم ، أي مناعةٌ تتمتع بها الأم ضد الأمراض ، إن هذه المناعة كلها ، في حليب الأم . في حليب الأم مواد حامضية ، تقتل الجراثيم في الأمعاء ، لذلك – هكذا إحصاءاتهم – إن حالات وفاة الأطفال هي ثلاثة أضعاف ، عند الأطفال الذين يتلقون الإرضاع الصناعي ، وأقل منها بثلاثة أمثال ، عند الأطفال الذين يررضون من أثداء أمهاتهم مباشرةً .

واكتشف العلماء ، من خلال تجارب طويلة ، أجروها علىأطفال تلقوا الحليب من أمهاتهم ، وعلىأطفال أرضعوا إرضاعاً صناعياً ، فوجدوا أن بعض الآفات الكبيرة ؛ كتصلب الشرايين ، والآفات القلبية ، ومرض السكري ، والبدانة ، تكثر في الأطفال الذين تلقوا الإرضاع الصناعي . والإرضاع الوالدي فوق كل هذا ، يقي المرأة من سرطان الثدي، حيث وجد أن أكثر حالات سرطان الثدي عند المرأة ، موجود في النساء اللواتي يمتنعن عن إرضاع أولادهن ، حفاظاً على شكلهن ، عقاب الله سبحانه وتعالى هذا المرض الخبيث .

وقد وقف العلماء ، عند بعض ميزات حليب الأم مثلاً : جاهزيته في أعلى مستوى ؛ ليلاً ، نهاراً، صباحاً ، مساءً ، في السفر ، في الحضر، حليب معقم ، ذو حرارة مناسبة ، دافئ في الشتاء ، بارد في الصيف ، مُعِيرٌ تعبيراً دقيقاً ، كل يوم له معيار خاص ، بحسب نمو الطفل، خالٍ من الجراثيم ، يقي من سوء التغذية ، يقي من التحسس ، ومن الأمراض المعدية ، سهل الهضم ، ويقي الأم من الأمراض الخبيثة، سهل التحضير ليلاً ، وفي السفر .

وقد أشار العلماء إلى أن الفطام السريع :

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

[سورة البقرة الآية : ٢٣٣]

يحدث رضاً نفسياً ، وانحرفاتٍ سلوكية .

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيَنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾

[سورة البلد الآيات : ١٠-٨]

فيما أليها الإخوة الأكارم ؛ لا ينبغي أن نحيد عن التصميم الإلهي تصميم ربنا أن يرضع الطفل من ثدي أمه ، فإذا انحرفنا عن هذا التصميم، وقعنا في شر أعمالنا .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عننا ، يا رب العالمين .

اللهم أعننا على الصيام والقيام ، وغضّ البصر وحفظ اللسان ، وأدخلنا الجنة بسلام .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، واقبل توبتنا ، وفكّ أسرنا ، وأحسن خلاصنا ، وبلغنا مما يرضيك آمنا ، واختم بالصالحات أعمالنا، مولانا رب العالمين .

اللهم إِنّا نعوذ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَيْكَ ، وَمِنَ الذُّلِّ إِلَيْكَ ، وَمِنَ الْخُوفِ إِلَيْكَ ، نعوذ بِكَ مِنْ عُضَالِ الدَّاءِ ، وَمِنْ شِمَائِتَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَمِنَ السَّلْبِ بَعْدِ الْعَطَاءِ .

اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين